دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

الفصل الخامس

كنائسها واوقافها (تابع)

وفي سنة ١٧٦٥ انتخب الاهلون ابا جرجس ابن الحاج عطا الله روفائيل وكيلًا على الكنيسة ، اذ توسموا فيه الهمة والحنكة والدربة ، والتمسوا من البطريرك طوبيا الخازن منشورًا لطلب الحسنات ، وتعاهدوا على انه في كل عام يدور احد وجوه القرية لجمع الصدقات ويسلمها الى الوكيل المذكور لينفقها على تتميم الكنيسة. فنهض ابو جرجس لمباشرة وكالته واستقدم البناء نعمة بُطيش من مزرعة كفردبيان فواصل العمل حتى تم سنة ١١٨٠ هجرية ، كما يُنبئ التاريخ المحفور على حجر موجود للآن داخل المشكاة فوق عتبة الباب القبلي الجديد . وفي سنة ١٨٦٧ نظم الخوري فرنسيس الشمالي[1] ، بناء على طلب الخوري يعقوب الحاج ، تاريخًا مسيحيًا مطابقًا للتاريخ الهجري ، فنُقش على قطعة من الرخام فوق عتبة الباب الشمالي وهذه حرفيته :

يا حُسنها بيعةً لله قد رُفعت ... فيها المُقطَّع شَهمٌ يحرسُ البلدا
يعقوب في مجده يدعو بساحتها ... اني شهيدٌ ونخل النصر لي شهدا
فاصغوا لمن قال حقًا في تأرّخها ... لا ترهبوا من فريق يقتلُ الجسدا (٢)

فالقارئ المنتقد يرى ان الناظم اهمل في حسابه ستين فجعل سنة ١٧٦٤ مسيحية موافقه لسنة ١١٨٠ هجرية والحقيقة هي سنة ١٧٦٦ .

---

١) سيم اسقفًا على مدينة حلب باسم جرمانوس سنة ١٨٩٢

٢) الخوري بشاره الشمالي : نظم اللآلئ للحبر الشمالي ، ص ١٦٩ . روى المؤلف ان التاريخ نُظم سنة ١٨٤٧ لا سنة ١٨٦٧ كما كتب الخوري منصور .

تمت بناية الكنيسة فجاءت فسيحة بالنسبة الى تلك الايام والى حالة القرية ، طولها نحو ٢٠ متراً ، وعرضها ١٢ متراً . وفي غضون ذلك سيم الوكيل النشيط كاهناً في شيخوخته اي بعد سنة ١٧٨٠، ودُعي الخوري بطرس . وفي سنة ١٧٨٥ كرّس الكنيسة المطران جبرائيل مبارك ، ورئيس اساقفة بعلبك . وسنة ١٧٩١ تبرّع سرعي الحاج ، جدّ البطريرك يوحنا الحاج ، بنفقة قبة الجرس ؛ واوصى الخوري بطرس روفائيل ولده يوحنا ، الذي كان آنئذٍ في رومية تلميذاً في مدرسة الطائفة ، بجرس ، وصار استجلابه بواسطة بطريرك السريان ميخائيل جروه كما يظهر من كتاب من البطريرك المذكور الى كهنة رعية دلبتا مؤرخ سنة ١٧٩٥ [1] . ولم يكن نقل الجرس من رومية الى لبنان بالامر السهل اذ

---

(١) يجدر بان نثبت نصّ هذا الكتاب لزيادة الافادة :

« البركة الرسولية تشمل حضرة ولدينا العزيزين الخوري بطرس والخوري الياس الاكرمين باركهما الرب الاله بأتم بركاته الملية امين .

« بعد اهداء البركة السموية وبليغ الشوق الى محبتكما نخبركم قد حضر لنا مكتوب خاص من حضرة ولدنا المتواجه يوسف حمصي بقبرص وبه أعلمنا انه وجه الجرس الى بيروت تحت يد حضرة ولدنا المتواجه موسى سمنه لزم انا اعلمناكم حالاً حتى لا تتعبوا بمن ترسلوا الى قبرص لاجل حضور الجرس المذكور كما اتفقنا معكم سابقاً وحساب الجرس المذكور وكلفته تروه مفنداً بجانب هذا المكتوب فمن التفنيد المرقوم يتضح لكم بان باقي لنا تسعة وعشرون غرش واربعة فضة ما عدا الكلف والمصاريف التي للان لم يأتينا علمها كما نحن واضحون ذلك جلياً في قائمة التفنيد الموردة بجانبه واما كلف الجرس الى بيروت وفي بيروت ايضاً يجب انكم تدفعوها الى ولدنا المتواجه موسى سمنه فالمراد احضرا الى هنا واصحبا لنا معكم غرش ٣٩ وفضة ٤ المرقومة اعلاه الباقية من ثمنه وكلفته الى ليكورنا وجيبوا معكم ايضاً ثلاثين غرش تحت حساب باقي الكلف ما عدا كلفته من قبرص الى بيروت وفي بيروت كما حررنا واذا حضرتم الى عندنا مع الدراهم تسلكم مكتوب منا الى حضرة ولدنا المتواجه موسى سمنه المذكور لتتسلموا من عنده الجرس ولا يلزم لكما تحريج ازود والبركة تشملكما »

مكان الختم اغناطيوس ميخائيل
بطريرك السريان الانطاكي

والى جانب الكتاب المذكور وضع البطريرك « بيان قائمة تفنيد ثمن ومصاريف الجرس الذي لضيعة دلبتا الى حد ليكورنا وذلك بموجب تحرير حضرة الاب يوسف عجلوني برومية

كان في نية وكيل الكنيسة ان يُسيّر الى قبرص رسولًا لاستحضاره ، غير ان حسن الحظ خدمه فوجد من اعتنى بايصاله الى لبنان .

وفي سنة ١٨٠٣ ، اهتم وكيل الكنيسة بطرس التحومي بتبليط الخورس وكنيسة النساء [1] وفي سنة ١٨٠٨ بُدئ بحفظ القربان المقدس في بيته ، وذلك بعناية الاب منصور الفرنسيسكاني الذي اتى دلبتا من دير حريصا لنشر غفران اليوبيل ومكث فيها مدة ثمانية ايام يعظ ويرشد ، وكان يحتفل بزياح القربان في كل مساء ويحث الشعب على زيارته وعبادته ، وكانت صابية شقيقة الخوري عبدالله الحتوني عائشة بتولًا فخصصت نفسها لملاحظة الكنيسة وخدمة القربان ، ولبثت مواظبة على عملها هذا الحميد الى وفاتها في سنة ١٨٣٥ . ومنذ ذلك الحين لا يزال القربان محفوظًا في بيته مكرّمًا من الاتقياء ، ومخدومًا بدون انقطاع الى الآن . وفي سنة ١٨٢٥ باشر وكيل الوقف الياس مراد بناء المدافن المستاة « الخشاخيش » في ساحة الكنيسة الشمالية ، وكرّسها في السنة التالية

بمكتوبه المحرر سنة ١٧٩٤ » . ومن هذا البيان يستفاد ان وزن الجرس ٤٤٤ ليبره ، وثمنه « ١٠٣ سنوت ، و٨ جوليه » .

وعلى قفا هذا الكتاب تقرأ ما يأتي :

« سبب تحريره .

« انه في الثامن عشر من شهر شباط لسنة ١٧٩٥ حضر لمندنا حضرة ولدنا الخوري بطرس رافايل من دلبتا ودفع لنا التسعة وعشرين غرش واربعة مصاري الفاضلة من ثمن وكلفة الجرس الى ليكورنا لان الثلاثة سنوت وصلتنا سابقًا كما مرقوم في مكتوبنا هذا واما باقي كلف الجرس من حين طلوعه الى ليكورنا ووصوله الى قبرص وتنزيله الى البحر فن كون ما وصلنا بعد من الوكلاء الذين حضر عن يدهم اعلام عن ذلك . فلذلك دفع لنا ولدنا الخوري بطرس المذكور اعلاه تسعة عشر غرش على الحساب المذكور ولاجل البيان جررنا ذلك ومن بعد اعلام الوكلاء لنا عن المصاريف فان زاد شيء عن التسعة عشر غرش فآخذه من الخوري المذكور وان نقص شيء ندفع له اياه حرر في ١٨ شباط سنة ١٧٩٥ » .

١) هاك اسماء وكلاء الكنيسة واوقاتها : الخوري بطرس روفائيل (١٧٩٥-١٧٩٤) — بطرس التحومي (١٧٩٤-١٨١١) — الياس مراد (١٨١١-١٨٤٨) — كنعان ديب (١٨٤٨-١٨٨١) — الخوري منصور الحتوني (١٨٨١-١٩٠٨) — الخوري اسطف بطرس ديب (١٩٠٨-١٩١٧) — الخوري لويس الحتوني (١٩١٧-١٩٢٤) — يوسف ابي حاتم من ١٩٢٤ الى يومنا .

باب الكنيسة الغربي

مذبح مار يعقوب

باب كنيسة النساء

المطران انطون الخازن ، رئيس اساقفة بطبك . واشترى الخوري يعقوب الحاج سنة ١٨٣٣ تاج عود من الرخام منقوشاً نقشاً جميلاً على الطراز اليوناني الروماني وُجد مطموراً في احد البساتين بجوار نهر ابرهيم ، وهو من بقايا تلك الهياكل الوثنية المكرّسة لعشتروت الهة الحب ، وبعد ان وُضع لقيام بيت الدنس اصبح في بيت الله اناء لماء الحياة الروحية ، اذ انه نُقر جرناً للمعمودية وهو باقٍ الى يومنا وقد كرّسه في سنة ١٨٣٤ المطران انطون الخازن .

وقد تعدّى اللصوص مرّتين على الكنيسة في سنة ١٨٤٠ وسنة ١٨٧٥ ، وسلبوا في كل مرة ما كان ذا قيمة ثمينة من الذهب او الفضة كآنية القداس ، وشطاع القربان ، وحُقّة القربان ، وقناديل ومباخر من الفضة والملبة المتضمّنة ذخيرة مار يعقوب ، وقد أُجري تفتيش وتحر فلم يُرَ للسارقين أثر . ولما شاخ الياس مراد واصبح عاجزاً عن القيام بواجبات وكالة الوقف استعفى ، فعُيّن مكانه سنة ١٨٤٨ كنعان ديب . وكان هذا قد أخذ فنّ التصوير الزيتي عن عمّه الخوري موسى ديب ، رئيس دير سيدة الحقلة ، فرفع الصور الموجودة في الكنيسة ووضع صوراً جديدة عملها على كيس الوقف [1] ، وفي سنة ١٨٧٣ شيّد خزانة الكنيسة ، اي السكرستيا ، في الجهة القبلية . واشترى المطران يوحنا الحاج سنة ١٨٧٦ ، من مال الكنيسة ومن تقادم كهنة القرية ، بيتاً للقربان من الرخام الناصع الجميل منزّلٌ فيه قطع من الرخام الملوّن ، وهو الى يومنا على المذبح الكبير . وسنة ١٨٨٠ بُلّط الخورس بالرخام وغُطّيت بالرخام ايضاً المذابح الثلاثة التي فيه ، وقد بلغت نفقة هذه الاصلاحات ٦٧١٠ غروش ، قدّم منها سكّان القرية وكهنتها ٥٤٠٢ ، ودفع الباقي من صندوق الوقف . وفي سنة ١٨٨١ اقيم مذبح جديد على اسم العذراء ، وأُتي بدرابزون الخورس ،

---

١) قد انجز المرحوم كنعان ديب لكنيسة مار يعقوب سنة ١٨٦١ صورة مار روكز ، وسنة ١٨٦٨ صورة الحبل بلا دنس ، وسنة ٨٥٥ صورة مار الياس وصورة القديسين الرسولين بطرس وبولس ، وهذه الاخيرة بيعت سنة ١٨٨٩ لاحدى كنائس بلاد جبيل ، ووُضع مكانها صورة للمصور الشهير دارد القرم ؛ وسنة ١٨٥٩ صورة مار جرجس ، وسنة ١٨٦٠ صورة مار يوحنا الصدّاق على باب بيت المعمودية ، وسنة ١٨٦٨ صورة مار يوسف .

ويؤخر بناء القبو الذي وراء الكنيسة شرقيها . وسنة ١٨٨٢ بُلطت بالرخام كنيسة الرجال ، وشُيّدت مدرسة للصبيان فوق السكرستيا.

كان باب الكنيسة القبلي حقيرًا صغيرًا ، وسبب ذلك انه لما شُيدت الكنيسة كانت الجهة القبلية منها غابة كثيفة ليس فيها من البيوت الّا القليل، فأُهمل اتقان هذا الباب ووجّه الاعتناء الى تحسين باب الجهة الشمالية التي كانت وحدها عامرة .

ولما كثر السكان وقطنوا في كل انحاء القرية اصبح اكثرهم يدخلون الكنيسة من الباب القبلي ، فعزم على تغييره وكيل الوقف ، الخوري منصور ، فاستقدم النحّات سليم مرجان من بيروت واطلعه على رسم المشروع وهيئته ، فاخذ النحّات في العمل وانهاه سنة ١٨٩١ ، فجاء بابًا جميلًا فخمًا يندر وجود مثله في كنائس لبنان يسترعي انظار الزائرين ويُدهشهم . وجدّد النحات سنة ١٨٩٣ باب كنيسة النساء فجاء جميلًا ايضًا ومتقنًا ، غير انه دون الاول فخامة. وغيّر هيئة. مذابح الخورس الثلاثة فاقامها على طراز الباب القبلي بالحجر الابيض المصقول والمنقوش ، وكانت نهاية العمل سنة ١٨٩٤ ، وبُني سنة ١٨٩٦ على سطح القبو القائم وراء الكنيسة مدرسة للصبيان كبيرة واسعة ، وكانت النفقة على الاهلين والوقف . وسنة ١٩٠٦ هُدمت قبة الجرس واقيم غيرها على طراز جديد بالحجر الابيض النظيف ، وفيها جرسان. وشُيّدت في السنة ذاتها مدرسة للبنات في « قاطع الشميس » بالقرب من الكنيسة ، عوضًا عن المدرسة القديمة التي كانت في « قاطع الضليل » .

ومن العادات القديمة ان تكون مدافن الكهنة في داخل الكنيسة . قال الخوري منصور : « قد جعلوا في كنيستنا اربعة مدافن في اربع زوايا كنيسة النساء اي في كل زاوية مدفن واحد وكانت تُستعمل لدفن الكهنة اللهم الّا مدفن الجهة الشمالية الذي يلاصق المضادة البحرية وقد ذكر هذا القبر المرحوم الخوري يعقوب الجميّل في حاشية بخطّ يده علّقها في آخر نبذة الخوري يعقوب الحاج الذي مرّ بك ذكرها يقول فيها هكذا « ان المرحوم الخوري يعقوب الحاج برح من باله ان يذكر الثلاث أشوار التوت الذين فوق دارة الكنيسة

الشمالية فهؤلاء من املاك ابي حنا اسعد ووفائيل من سلالة ابي فرح بطرس فعند توفي ولده البدوي دفنوه في كنيسة النساء قرب العضادة الشمالية واعطى للكنيسة ثمن القبر المذكور الشورتين التوت الذين فوق ساحة الكنيسة ولما توفي اخوه حنا اسعد كان صار المنع عن دفن العوام في الكنيسة من مطران الابرشية فدفنوه في مدفن خصوصي في ساحة الكنيسة القبلية واعطى الورثة للكنيسة الشورة التوت الثالثة الذي فيها الطريق للكنيسة[1]». ولما كانت الاسباب الداعية الى منع الدفن في داخل الكنيسة وجيهة مهمة، حُوّل القبو الملاصق للكنيسة الى مدافن للكهنة، واول من قُبر فيها الخوري يعقوب الجميّل الذي توفي سنة ١٨٩٢.

ولم يكن لكنيسة مار الياس القديمة اوقاف . اما كنيسة مار يعقوب فلها املاك كانت قبل الحرب ذات دخل غير يسير ، واول من وقف لها الارزاق الخوري يعقوب الحصروني الاول ، وقد روى كيفية ذلك الخوري يعقوب الحاج في نبذته المذكورة اعلاه قال : « ان الخوري يعقوب المتوفى كان له ولد انتُخب عوضه كاهناً في الضيعة وفي ايامه صار الشروع في تأسيس الكنيسة وحدث اختلاف بينه وبين البعض من اهالي الضيعة بدعواهم ان الارزاق المتروكة عن ابيه هي للكنيسة فتقاضيا في ديوان السيد الذكر البطريرك اسطفان الدويهي فمن بعد الفحص المدقق فما وجد رسم ولا حجة مسطّرة باسم الوقف بل جميع الارزاق مشترية من مال الخوري يعقوب الاول الذي هو اب الخوري يعقوب الثاني فحينئذٍ حكم المرحوم البطريرك المذكور بان جميع الارزاق هي ملك الخوري يعقوب المرقوم يتصرّف بها من دون مُعارض ... وبعد ان تسلّم الخوري يعقوب الحكم من غبطته فمن ذات خاطره اوقف نصف ارزاقه الى الكنيسة بموجب صكّ وقسمها مناصفة[2] » . ومنذ ذاك الحين اخذ سكّان القرية من كل العيال يقفون بعض ما يملكون ، وقد ذكر ذلك الخوري منصور في نبذته فقال : « واقتدى بالخوري يعقوب الاول ولده الخوري يعقوب الثاني ثم الخوري بطرس ووفايل واخذت من بعدهم الأملاك والارزاق تتوارد وقفاً الى الكنيسة تقريباً من كلّ العيال تخصّ منها عائلة بيت مراد

١) السجل ص ٢١ و٢٢ ٢) نبذة الخوري يعقوب الحاج عدد ٢ و٣ و٦ و٧ و٨

وعائلة بيت دوفايل وبيت الحتوني[1] » . وسنة ١٨٥٠ اتفق الخوري يوحنا الحاج والخوري يوحنا زوقائيل على ان يهب هذا الاخير للخير ما كان عنده من الاملاك فوقفها جميعها لكنيسة مار يعقوب وخُصّصت الحجرات التي كان يقيم فيها مدرسة لتعليم اولاد القرية كما سنذكر ذلك في ترجمة هذا الكاهن الفاضل[2]

٢ كنيسة سيدة النجاة

لما توفي الخوري يعقوب لاوندوس الحتوني سنة ١٨٦٤ ، اتفق ورثته ، وهم اولاد عمه ، على حبس ما خصّهم من الارث في سبيل الله . وقد فاق الجميع همّة وغيرة احدهم المدعو باخوص . كان هذا عاقرًا فوجّه عنايته كلها الى هذا الامر ، ورغب في ان يجعل هذه التركة مدرسة لاولاد القرية ، فاستشار الطيب الذكر المطران يوحنا حبيب ، وكان آنئذٍ كاهناً مقيماً في دلبتا ، فحبذ فكرته كثيرًا ونشّطه . وفي سنة ١٨٦٥ وقّع باخوص واخوته صكاً فيه يعلنون انهم وقفوا طوعاً وعن رضى لفقراء دلبتا ، ومن بعدهم لفقراء الطائفة ، ما تركه لهم عمهم اي بيته والرزق الذي حوله وطلبوا ان يُبنى هناك كنيسة على اسم السيدة يخدمها كاهن يعينه مطران الابرشية ، ومدرسة لتربية الاحداث بخوف الله وتعليمهم واجبات الدين المسيحي والقراءة السريانية والعربية . فشعر مطران الابرشية يوحنا الحاج ، بالفائدة الناجمة عن هذا العمل ، لاسيما للذين تبعد عنهم كنيسة الرعية ، فصدّق الصك ورسم ان يسمى البيت المتروك كنيسة سيدة النجاة ، واجاز تقدمة الذبيحة الالهية فيها وتوزيع الاسرار ، ما عدا سرّ العماد والتناول الفصحي واقامة القداس في عيد شفيع كنيسة الرعية الواقع في ٢٧ تشرين الثاني . فشرع باخوص منذ ذاك الحين يرمّم البيت ويُحسّن هيئته حتى جعله معبدًا لائقاً ، ولم تقف حميّته عند هذا الحدّ بل اخذ يبتاع الاملاك المجاورة والآنية الكنسية اللازمة حتى بلغ ما دفعه من ماله في وجه هذا المشروع المبرور نحو ثلاثين الف غرش . واقام ولياً على هذا الوقف ، يرضى

---

١) النبذة التاريخية ص ١٠٦ وما يليها .

٢) النبذة التاريخية ص ١٠٦ وما يليها . السجل ص ٢١ و٢٢